

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد / تلمسان



مخبر عادات وأشكال التعبير
الشعبي بالجزائر



بحوث سيميائية

مجلة علمية سنوية محكمة



X Y B A
X 7 7 4 4 7 4 7 7

المجلد 08 - العدد 14 - 27 جوان 2019



بحوث سيميائية

مجلة أكاديمية سنوية مُحكَّمة

تُعنى بكل البحوث والدراسات الأكاديمية ذات الصلة الوثيقة بالسيميائية وأشكال التعبير الشعبي والطقوس والممارسات الدينية في الجزائر باللغتين العربية والأجنبية

تصدر عن مخبر عادات وأشكال التعبير الشعبي في الجزائر
بجامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المجلد الثامن - العدد الرابع عشر

27 جوان 2019



تشرابن خلدون

Editions IBN KHALDOUN

13 شارع العقيد لطفى - تلمسان - الجزائر

الفاكس: 043.27.12.02 - الهاتف: 043.27.14.10

E-mail : editions.ibn.khaldoun.@gmail.com



كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع

شارع أول نوفمبر - باب الجهاد - تلمسان - الجزائر

الهاتف / الفاكس: 06-40-38-43-(0) 213 =

www.kkonouz.com

المدير المسؤول: أ.د رشيد بن مالك (جامعة تلمسان)

رئيس التحرير: أ.د عبد العالي بشير (جامعة تلمسان)

نائب رئيس التحرير: د. بغداد عبد الرحمن (المركز الجامعي مغنية)

مساعد محرر: د. علا عبد الرزاق (المركز الجامعي عين تموشنت)

السكرتير: بلعربي الطاهر larbitahar9@gmail.com

الهيئة الاستشارية

- أ.د. عبد الحميد بورايو (الجزائر) أ.د. محمد الداعي (الرباط/ المغرب)
أ.د. برنار بوتيه (باريس/ فرنسا) أ.د. أحمد يوسف (جامعة الجزائر)
أ.د. آن إينو باريس/ فرنسا) أ.د. بوزيدة عبد القادر (الجزائر)
أ.د. عبد الحق بلعابد (جامعة قطر) أ.د. يوسف أوغليسي (جامعة قسنطينة)
أ.د. بن كراد سعيد (الرباط/ المغرب) أ.د. مسعود وقاد (جامعة الوادي)
أ.د. عقاد قادة (جامعة سيدي بلعباس) أ.د. عائشة الدرمني (جامعة سلطنة عمان)
أ.د. محمد فايد (المركز الجامعي بتيسمسيلت)

الهيئة العلمية

- أ.د. عبد القادر هني (جامعة الجزائر/2) أ.د. وحيد بوعزيز (جامعة الجزائر/2)
أ.د. أوشاطر مصطفى (جامعة تلمسان) أ.د. حبيبة العلوي (جامعة الجزائر/2)
أ.د. عائشة الدرمني (جامعة سلطنة عمان) أ.د. أمينة بلعلا (جامعة تيزي وزو)
أ.د. أحمد يوسف (جامعة الجزائر) أ.د. حواس مسعودي (جامعة الجزائر/2)
أ.د. بوزيدة عبد القادر (الجزائر) أ.د. لخضر جمعي (جامعة الجزائر/2)
أ.د. خمري حسين (جامعة قسنطينة) د. بن مالك الحبيب (جامعة تلمسان)
د. زرقة لطفي (جمعة تلمسان) د. والي سهام (جامعة الجزائر/2)

الإعداد والمتابعة

أ.د. شافع بلعيد نصيرة أ.د. بن مالك سيدي محمد

د. علا عبد الرزاق د. بكاي محمد

العربي الطاهر - سلام عمر

اهتمامات المجلة العلمية

تُغنى مجلة بحوث سيميائية بكل البحوث والدراسات الأكاديمية ذات الصلة الوثيقة بسيميائية أشكال التعبير الشعبي والطقوس والممارسات الدينية في الجزائر والأدب الشعبي. وتخضع مقالاتها للتحكيم، ولا تنشر إلا بعد عرضها على باحث أو خبير في الميدان. وهي مجلة مفتوحة للباحثين وطلبة الدراسات العليا الراغبين في نشر مقالاتهم في هذه المجلة.

وقد اشتملت المجلة منذ إنشائها على مجموعة من المحاور القارة، قسم البحث السيميائي المعاصر يعالج إشكالية ترجمة المصطلح والنظريات السيميائية المعاصرة، وآخر يعالج قضايا تطبيقية، التطبيقات على أشكال التعبير الشعبي (شعرا ونثرا) من منطلقات منهجية بنيوية وسيميائية. ويتناول القسم الثالث كل الدراسات الخاصة بالمدونات وأشكال التعبير الشعبي من حكايات ومتون شعرية وألغاز عبر الفترات التاريخية الكبرى التي عرفتها الجزائر. وأما القسم الأخير منها فقد خصصناه للدراسات بمختلف اللغات ومن بينها الإنجليزية والفرنسية.

وقد سعينا من وراء تأسيس هذه المجلة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها

في النقاط التالية:

1. ترقية البحث العلمي من خلال التكفل ببحوث طلبة الدكتوراه وتشجيعهم بنشرها في المجلة بعد عرضها على الخبراء.
2. الاهتمام بأحدث النظريات العلمية ونشرها.
3. مسح المتون المتعلقة بأشكال التعبير الشعبي ونشرها.
4. جمع النصوص والمخطوطات والقيام بتحقيقها ودراستها.
5. الوقوف عند القيم التي تعالجها مختلف أشكال التعبير الشعبي.

* الرجاء مراعاة الشروط التالية - في المقال - قبل إرساله:

1. يتضمن المقال الاسم واللقب والرتبة العلمية ومكان العمل والبريد الإلكتروني واسم مخبر البحث (وفق النموذج في أعلى الصفحة).
2. يرفق المقال بملخص باللغة العربية واللغة الإنجليزية (لا يزيد عن 250 كلمة / في حدود عشرة (10) أسطر).
3. يرفق الملخص بالكلمات المفتاحية باللغة العربية واللغة الإنجليزية.
4. يكتب المقال باللغة العربية بخط simplified arabic حجم 16 وبخط Times new roman حجم 14 في اللغات الأجنبية.
5. تكتب الهوامش في آخر المقال بخط simplified arabic وبحجم 12.
6. تدون المصادر والمراجع في نهاية المقال في شكل قائمة مع مراعاة الترتيب الألف بآي.
7. يشترط في المقال أن يكون جديداً ولم يسبق نشره في مجلات أخرى.
8. يجب على صاحب المقال أن يتحلى بميثاق أخلاقية المهنة.
9. تلتزم المجلة بالمحافظة على حقوق المؤلف.
10. إرسال المقال عبر أرضية المجلات الوطنية ASJP إلى مجلة بحوث سيميائية.
11. نطلب مساهمة المؤلفين بإدخال المراجع البيبليوغرافية لمقالاتهم وفقاً لما تشير إليه البوابة الإلكترونية للمجلات الوطنية (ASJP) بعد قبول مقالاتهم.
12. تستقبل هيئة التحرير مقالات كل عدد جديد ابتداءً من شهر جويلية إلى غاية شهر ماي من كل سنة.

مع خالص الود والاحترام

رئيس تحرير مجلة "بحوث سيميائية"

أ.د عبد العالي بشير

افتتاحية العدد

إن هذا العدد الجديد الذي نقدمه للطلبة والباحثين المهتمين بقضايا المعنى ومختلف تجلياته في الأشكال التعبيرية المتنوعة يضم مجموعة من الدراسات تمس بصورة خاصة الاشتغال على المصطلح السيميائي والمفاهيم التي تعبره وهذا لقناعتنا بأن إدراك الحمولة المعرفية للمصطلح بوابة ستفضي بالقارئ إلى استيعاب التوجهات العامة على الأقل للدرس السيميائي المعاصر في جوانبه النظرية والتطبيقية.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، اهتدينا إلى مجموعة من الخيارات العلمية تتمثل في تنوع زوايا النظر تغطي التحري ليس فقط عن المستبدلات الراهنة المهيمنة على المشهد السيميائي المعاصر وتحديد السيميائيات الهوية، بل البحث عن الخلفيات البنيوية للنظرية السيميائية. من منطلقات هذه القناعة العلمية الجماعية، صممنا المحاور العامة لهذا العدد الجديد من مجلة بحوث سيميائية، آمين أن يلقي فيه القارئ العربي ما يشفي غليله العلمي.

كلمة رئيس التحرير

لقد تم بعون الله وبتضافر جهود هيئة التحرير صدور العدد الرابع عشر والثاني إلكترونيا من مجلة بحوث سيميائية. وكلهم عزم على الإفادة من المكتسبات المحققة في الدرس السيميائي المعاصر، وإقامة تواصل علمي شفاف مع القارئ العربي لترقية البحث على الصعيدين النظري والتطبيقي.

وقد ضم هذا العدد مجموعة من المقالات القيمة، أغلبها شارك فيها أصحابها في الملتقى الوطني حول المصطلحية السيميائية / التطور التاريخي والإبستمولوجيا المنعقد بجامعة تلمسان يومي 4-5/12/2018.

وقد توزعت بقية المقالات على محاور المجلة القارة (مقالات سيميائية، الترجمة، والدراسات الشعبية). كما أتحننا الفرصة في هذا العدد لمجموعة من الأساتذة الباحثين وطلبة الدكتوراه لنشر مقالاتهم تشجيعا لهم.

وفي الأخير نرجو أن يجد الباحث في مقالات هذا العدد ما يشفي غليله ويخدم أبحاثه ودراساته الأكاديمية.

رئيس التحرير

أ.د عبد العالي بشير

الفهرس

05 افتتاحية العدد

06 كلمة رئيس التحرير

07 الفهرس

الحراست السيمائية

المصطلح السيميائي من خلال مشروع مدرسة باريس - المعجم المعقلن في نظرية اللغة

09 أ.د. بن مالك رشيد / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

مصطلح التشاكل بين الترجمة والممارسة النقدية

15 أ.د. عبد العالي بشير / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

السيمائيات من العمل إلى الهوى - قراءة في كتاب سيميائية الأهواء لغريماس وفونتاني

27 د. بغداد عبد الرحمن / المركز الجامعي مغنية

أسس ترجمة المصطلح السيميائي

43 أ. سهام والي / جامعة الجزائر 2

السرديات من الملفوظ إلى التلقظ؛ الراوي ووجهة النظر

60 أ.د. سيدي محمد بن مالك / المركز الجامعي بمغنية

عن الأصول السيميائية لمفهوم التمثيل

72 د. حبيبة العلوي / جامعة الجزائر 2

قراءة سيميائية في رواية "سيّدات القمر" للأدبية العمانية جُوخة الحارثي

80 د. محمد سيف الإسلام بوفلاحة / جامعة عنابة

مصطلح السيميائية في الثقافة العربية الإسلامية

102_____ أ.د نصيرة شافع بلعيد / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

الأسس اللسانية للسيميائيات

110_____ أ. أسماء بن مالك / جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

سيميائية المكان في رواية تلك المحبة للروائي الحبيب السائح

118_____ د. رمضان مسعودي / جامعة أحمد دراية بأدرار

المصطلح السيميائي في ظل الممارسة النقدية العربية المعاصرة

134_____ بلعباس عبد القادر / وحدة البحث لسانيات – جامعة تلمسان

الدراسات الشعبية

الرؤية السردية في القصّة الشعبية الجزائرية - قراءة في قصة "عمّار الغي"

142_____ د. عبد الرزاق علاّ / المركز الجامعي بعين تموشنت

الرؤية السردية بتعبير تودوروف في القصص الشعبية الجزائرية - "بقرة ليتامى أنموذجاً

الطالبة الدكتورة: أسماء بن طيب / المركز الجامعي مغنية

151_____ الأستاذ المشرف: أ. د. سيدي محمّد بن مالك / المركز الجامعي مغنية

الأسس اللسانية للسميائيات

أ. أسماء بن مالك

جامعة تلمسان

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2019-06-27	2019-06-08	2019-05-24

ملخص البحث

فرضت السيميائيات وجودها في مختلف الميادين العلمية، فشرعت بعض العلوم تستلهم منها مختلف نظرياتها وأدواتها، للأهمية التي تنفرد بها في البحث عن المعنى ومختلف أشكال وجوده، وقد انكبّ مختلف الباحثون والمختصّون على الدراسات السيميائية للنهوض بأدواتها الاجرائية وترقية مناهجها العلمية، بغية التعمّق في خطوات التحليل السيميائي لمختلف الظواهر والموضوعات. وحتى نعرف سرّ هذا النجاح، يجدر بنا أن نلتفت إلى البدايات الأولى للسميائيات.

1- الحدود المفهومية التأسيسية للسميائيات :

من المؤكد أن السميائيات لم تأت طفرة واحدة أو من العدم، بل مرت عبر مخاض عسير وكانت عصارة أفكار سادت في حقب زمنية، فتبلورت وتطورت. وبعد اطلاقنا على مختلف الدراسات السميائية، توصلنا إلى نتيجة مفادها أن كل من العالم السويسري اللساني فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (1857-1913) والفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders Peirce) (1839-1914)، من رواد السميائيات المعاصرة، إذ أطلق كل واحد منهما على هذا العلم الناشئ تسميتي السيميولوجيا والسميائيات. وحتى ولو كان هناك اختلاف بينهما في التسمية، فإن ممارستهما وتقع على موضوع واحد لا يتجاوز العلامات.

2- الحدود المفهومية التأسيسية للسميولوجيا (Sémiologie) :

1.2 - السيميولوجيا عند سوسير :

يعود تاريخ وضع هذا المصطلح في اللغة الفرنسية إلى سنة 1875، ويتألف من لفظتين: الأولى « Sémio » مشتقة من اللفظة الإغريقية sêmeion، بمعنى العلامة¹، والثانية « logie » المشتقة من logos بمعنى الخطاب أو العلم². و يعد سوسير أول من بشر بعلم جديد في معرض حديثه عن السيميولوجيا في كتابه دروس في اللسانيات العامة (Cours de Linguistique Générale) الذي نشر سنة 1916³. ونظرا لأهميته، فلا يمكن أن نكتب مقالا حول السيميولوجيا دون أن نستشهد بالصياغة الشهيرة لسوسير: "من الممكن تصوّر علم يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية، الذي يشكل جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي جزءا من علم النفس العام، والذي سنطلق عليه اسم السيميولوجيا"⁴ (ترجمتا)، والمشتقة من اللفظة الإغريقية semeïon بمعنى العلامة (signe).

وهكذا، عرّف سوسير السيميولوجيا بأنها علم يختص بدراسة العلامات داخل الحياة الاجتماعية⁵. وما يلفت انتباهنا في هذا التعريف، الذي يُعد فعلا خارطة طريق حقيقية للسانيين والسميائيين الذي جاؤوا من بعده، هو أن سوسير لم يشر إلى السيميولوجيا إلا عرضيا في كتابه "دروس في اللسانيات العامة"، ولم يفرد له حيزا كبيرا واكتفى بتنبؤ علم أشمل من اللسانيات وحاضن لها سيُعنى بدراسة العلامات والكشف عن القوانين التي تحكمها. وعلى هذا الأساس ستتضوي اللسانيات مستقبلا تحت السيميولوجيا.

كما أدرج سوسير السيميولوجيا في إطار علم النفس من جهة، لأنه "علم ريادي" Science «pilote» للعلوم الإنسانية في اللحظة التي ألقى فيها سوسير درسه؛ إذ شبهه قليلا بوضع اللسانيات في

الستينيات بأوروبا⁶، واعتبر السيميولوجيا من جهة أخرى قسما أساسيا من علم الاجتماع. ومن هذه المنطلقات، نستنتج أن لسوسير نزعتين: تتمثل الأولى في النفسانية ويظهر هذا في قوله: "إن العلامة اللغوية لا تجمع بين الشيء والاسم، بل بين المفهوم والصورة السمعية"⁷. أما الثانية، فهي اجتماعية: "بفصلنا اللسان عن الكلام، فإننا نازل في الوقت نفسه الاجتماعي عن الفردي"⁸. (ترجمتا)

ويؤكد سوسير على الأهمية التي تكتسبها السيميولوجيا، باعتبارها علما عاما جديدا، فيكون موضوعها قوانين الإبداع وتحويل العلامات ومعانيها⁹، وتهتم كذلك بدراسة العلامات، واختلافها، وقواسمها المشتركة واشتغالها.

وبعد اطلاعنا على مختلف الدراسات المنجزة حول سوسير، والقائمة على استنباط مختلف الوجهات البحثية انطلاقا من تعاريفه، توصلنا إلى النتائج الآتية:

- إن اللغة ما هي إلا نظام علامات تعبر عن أفكار، ومن ثمة، فإن هذا النظام يشبه سائر الأنظمة الأخرى مثل: الكتابة، ولغة الصم والبكم، والشعائر الرمزية، وعبارات المجاملة، والإشارات البحرية، إلخ...". أما أهمية اللغة الإنسانية، فهي راجعة إلى كثرة شيوعها واستعمالها بين الناس.

- إن اللسانيات- التي هي دراسة اللغة الإنسانية بمعناها العادي- ليست سوى جزء من هذا العلم العام" الذي يختص بدراسة كل أنظمة العلامات (اللسانية وغير اللسانية)، بحيث أن القوانين التي قد تكشف عنها السيميولوجيا أو تتوصل إليها هي صالحة وقابلة للتطبيق على اللغة نفسها¹⁰.

- نمذجة مختلف أنواع العلامات (ما المقصود بالمؤشر (indice)، والعرض (symptôme)، والإشارة (signal)، والرمز (symbole) وغيرها).

- مقارنة مختلف أنظمة العلامات فيما بينها، واللغة بوجه خاص (ما يمكن أن نسميه على أثر سوسير وتعاليم موناين (Mounin) بالسيميولوجيا المقارنة (sémiologie comparée)).

- التحليل النسقي (analyse systématique) (أو ما يُسمى اليوم بالبنوي) لحقل سيميائي معطى.

- استعمال الأدوات اللسانية لوصف مجالات ليست بالضرورة لسانية¹¹.

ومن الواضح أن الرؤية السوسيرية للسيميولوجيا سبب لنا، كما أشار إلى ذلك بنكراد¹²، إمكانية الكشف على قوانين جديدة ستمكنا، بدورها، من تحليل منطقة هامة من "الانساني والاجتماعي" عبر إعادة صياغة حدود هذه الأنساق وشكلتها.

وقد شكّل هذا النوع من الدراسات منطلقاً حقيقياً لكل الدراسات اللسانية والسميائية التي جاءت بعد سوسير. وتكتسي هذه الرؤية أهميتها من كونها حرّكت البحث اللساني والسميائي في الواجهة التي حددها سوسير. ولا أحد يستطيع أن يدرك مرامي الإنجازات العلمية الراهنة في الحقل اللساني دون الارتكاز على هذه الرؤية.

و لكل هذه الاعتبارات، ورغبة منا في إدراك الإضافات التي جاء بها الباحثون بعد سوسير، فضلنا أن نقف عند وجهات نظرهم ومقارنتهم للسميولوجيا. وستمكنا هذه الخطوة التي نعتبرها هامة من الإمساك بالالتباسات التي غالباً ما نلاحظها بين هذا الباحث أو ذاك، والتي تؤثر سلباً على تلقي هذه المعرفة السميولوجية الجديدة في الفكر العربي.

2.2- بصمة رولان بارث في البحث السميولوجي:

فضلنا الوقوف عند الباحث رولان بارث (Roland Barthes)، لأنه يعلن عن الاستمرارية في مشروع دي سوسير، فإن السميولوجيا، في إطار هذا التصور، تبدو كعلم يسعى إلى فهم الطريقة التي تُبلور بها الدلالة، إذ اهتم بالمشروع السوسيري السميولوجي، وكرّد فعل لهذا الحراك الفكري السائد آنذاك، أصدر دراسة موسومة بـ "Eléments de sémiologie"¹³، في عدد خاص من "مجلة التواصل". وما يميز هذا العدد هو المبادرة الأولى لنشر بحوث ذات طابع سميولوجي. وقد أحدثت هذه الدراسة ضجة كبيرة وغيرت الواقع السميولوجي الأوروبي، وعدت العلامة الفاصلة بين مرحلتين متميزتين في تاريخ البحث السميولوجي، فتمثل المرحلة الأولى الفترة التي تتبأ فيها دي سوسير بعلم يدرس نظام العلامات، أي "السميولوجيا"، كما أشرنا إلى ذلك، و أن "اللسانيات" ما هي إلا جزء من هذا العلم العام¹⁴.

أما في المرحلة الثانية، فإن رولان بارث قام بقلب الموازين كما يظهر جلياً في قوله هذا: "في نهاية المطاف، ينبغي من الآن فصاعداً الإقرار بإمكانية قلب اقتراح سوسير يوماً ما: فاللسانيات ليست جزءاً، ولو مفضلاً، من علم العلامات العام، ولكن السميولوجيا تمثل جزءاً من اللسانيات: وبالضبط هذا الجزء الذي يأخذ على عاتقه الوحدات الخطائية الدالة الكبرى"¹⁵. (ترجمتنا).

وفي هذا السياق، يشيد رشيد بن مالك بأهمية تاريخية لنص بارث، كما يرتهن الالتحاق بالركب الحضاري وجوده إلى ضرورة وضع الحجر الأساس، فيعد هذه الدراسة نقطة معلمية مهمة في تاريخ التحول الذي شهده البحث السميولوجي المعاصر، بعد إقرار بارث بإمكانية قلب مقترح سوسير¹⁶. وتضيف

الباحثة آن إينو "أن الفضل يعود إلى بارث في ترجمة واضحة للوضع الفكري المهيمن أثناء انطلاق السيميولوجيا بفرنسا"¹⁷. (ترجمتا).

ويوضح بارث أن السيميولوجيا تتخذ أنظمة العلامات موضوعا لها بقطع النظر عن ماهيتها وحدودها، ضاربة جذورها في كل مناحي الحياة الاجتماعية. ويلاحظ أن مصطلح السيميولوجيا لا يبعث على الارتياح، لا لأنه مشروع لقي التأييد المستمر، بل لصعوبة تنفيذه، ويأتي كل الخطر من برمجة علم لم يتشكل بعد. فالسيميولوجيا مازالت تبحث عن نفسها. فقد اعتقد سوسير أن اللسانيات ليست إلا قسما من العلم العام للعلامات، ولكنه لم يكن متأكدًا بالمرّة من وجود أنظمة من العلامات ذات سعة معيّنة تتميز عن اللغة، في الحياة الاجتماعية.

إلى حد الآن لم تجد السيميولوجيا ما تعالجه سوى شفرات غير ذات أهمية كقانون المرور؛ إلا أنه بمجرد الانتقال إلى مجموعات لها عمق اجتماعي حقيقي، نلتقي مرة أخرى باللغة. ومما لا شك فيه أن الأشياء والصور والسلوكيات قد تدل و بجزارة، ولكن لا يمكن أن تفعل ذلك بكيفية مستقلة لأن كل نظام دلالي يمتزج باللغة. فالماهية البصرية مثلا تعضد دلالاتها من اقترانها برسالة لسانية (كالخيالة[أي السينما] والإشهار، والهزليات، والصور الصحفية، إلخ.)، بحيث يرتبط جزء من الرسالة الإيقونية، على الأقل، بعلاقة حشو أو علاقة إنابة مع نظام اللسان. أما بخصوص مجموعات الأشياء (كاللباس، والطعام)، فهي لا ترقى إلى مستوى الأنظمة إلا بالمرور عبر البديل اللساني الذي يجزئ دوالها (في شكل لوائح مصطلحية) ويسمى مدلولاتها (في شكل استعمالات أو أسباب). ويبدو لنا في النهاية أن تخيل نظام من الصور والأشياء التي تستطيع مدلولاتها أن توجد خارج اللغة أمر يزداد صعوبة أكثر فأكثر. إن إدراك معنى ماهية ما معناه اللجوء حتما إلى التقطيع الذي يقوم به اللسان : لا يوجد المعنى إلا مسمّى ، وليس عالم المدلولات بشيء آخر غير عالم اللغة. وعلى هذا الأساس، فإن السيميولوجي على الرغم من اشتغاله في البداية على ماهيات غير لسانية ملزم عاجلا أو آجلا بالعثور على اللغة ("الحقيقية") ليس باعتبارها نموذجا وإنما بصفقتها مكوّنا أيضا، وكبديل أو كمدلول.

وفي إطار هذا التصور تهدف السيميولوجيا إلى فهم الطريقة التي تُبلور بها الدلالة في مختلف الإنتاجات الاجتماعية (أشياء الاستهلاك، وموضات و طقوس) المتجلية عبر مختلف أنظمة التواصل الجماهيري.

وبهذه الرؤية المنهجية سيتناول رولان بارث بالدرس والتحليل نظام الموضة، وسيتساءل من جديد فيما إذا أمكن لنظام من الأشياء الاستغناء عن اللغة. هل يمكن أن يستغني اللباس عن اللغة التي تصفه، وتُعلق عليه وتُهبه هبة غزيرة من الدوال والمدلولات ليشكل نظاما من الدلالات؟¹⁸. وسيقوده هذا التساؤل إلى النتيجة نفسها التي انتهى إليها في المبادئ، وهي ضرورة قلب الصياغة السوسيرية، والإقرار بأن السيميولوجيا هي التي تُعدّ قسما من اللسانيات. ولئن كان هذا التأكيد يعكس قناعته بانغماس مختلف أشكال التعبير في السيرورة اللغوية ولا يمكن فصلها عنها، وأن عملية القلب مشروعة علميا، فإن تصوّره للمشروع السيميولوجي لن يخرج عن الإطار العام الذي وضع سوسير أسسه من خلال الدفع بالسيميولوجيا في اتجاهين: يكتسي الأول طابعا نظميا (syntagmatique) ويستمد وجوده من التحليل البنيوي للرسالة السردية. ويتسم الثاني بالطابع الاستبدالي (paradigmatique) ويتحدد موضوعه بتصنيف الوحدات الإيحائية¹⁹.

وفي هذا السياق يكتفي محمد البكري بالإشارة المرّكزة الموحية، الملمحة إلى هذا الانقلاب الوارد في سياقين في مقدمة أنجزها لترجمة مقال رولان بارث « Eléments de Sémiologie » « مبادئ في علم الأدلة»: - "السياق الأول: ساعد كتاب المبادئ على تطور البحث الدلالي لما احتوى عليه من طروحات جديدة جريئة (جعل الدلالية²⁰ جزءا من اللسانيات، وتقديم خطاطة تطبيق ونقل النموذج اللساني إلى موضوعات أخرى.

- "السياق الثاني: وكيفما كان الحال لا يمكن نفي غنى الأطروحات النظرية التي أنتجت في هذه المرحلة الأولى مثل مبدأ كونية اللغة وشموليتها والذي اعتمد عليه رولان بارث لقلب أطروحة سوسير القائلة بعمومية الدلالية وخصوصية اللسانيات"²¹.

فالهدف من البحث السيميولوجي، من منظور رولان بارث يتمثل في إعادة تشكيل اشتغال الأنظمة الدلالية المعبر عنها بغير اللسان وفق المشروع البنيوي. ولإنجاز هذا البحث، يركز رولان بارث على اللسانيات ويقرّ منذ البداية، بمبدأ الملاءمة في تبني وجهة نظر واحدة في التعاطي مع الوقائع المسجلة والإمساك فقط بالسّمات المعنية بهذا المنظور. وبالاعتماد على الفونولوجيا كمثال يوضح بارث أن مساعلة الأصوات لا تتم إلا من زاوية المعنى الذي تنتجه، دون الاكتراث بطبيعتها الفيزيائية أو النطقية. وعلى هذا الأساس، يسعى البحث السيميولوجي في التعاطي فقط مع المواضيع، وفق العلاقة التي تعمل على تجلية المعنى دون اللجوء إلى المحدّات السيكلوجية والسوسيولوجية والفيزيائية التي يرتبط كل واحد منها

بملاءمة من نوع آخر. وحتى يوضح هذه الفكرة، يعطي بارث مثلا مهما يخصّ الموضة. فلموضة تداعيات اقتصادية واجتماعية. فالسميولوجيا لا تعالج الاقتصاد ولا السوسولوجيا؛ فهي تقف فقط عند النظام الدلالي للموضة، بحيث يلتحق الاقتصادي والسوسولوجي بالملاءمة السميولوجية. ويعني بارث بكل هذا مستوى تشكّل العلامة الثيائية أو القيود الجموعية (الطابوهات) أو الخطابات الإيحائية. وفي هذه النقطة من البحث يثير بارث نقطة في غاية الأهمية تقترن بمبدأ المحايثة، بمعنى أن الملاحظة ينبغي أن تقيّد من داخل النظام دون اللجوء إلى الاعتبارات الخارجة عنه. والغاية من هذا المبدأ تتمثل هي التعاطي مع مجموعة من الوقائع المتنافرة للوقوف على بنيتها من ناحية، واتخاذها من ناحية ثانية مدونة للبحث. ويشدّد بارث في هذا السياق على أن البحث يبدأ مع المدونة ومن منطلقاتها يباشر التحليل. ونظرا للأهمية البالغة التي تكتسبها هذه المرحلة، فإن بارث يضرب مثلا مقتطعا من حياة الفرنسيين: فإذا أردنا أن نعيد تشكيل النظام الغذائي عند الفرنسيين اليوم، ينبغي أن نحدّد طبيعة الوثائق التي ينهض عليها التحليل: فهل نعمل على الارتكاز على قائمة خيارات الصحف، أم المطاعم، أم قائمة الخيارات الملاحظة أم المروية؟ وتقودنا هذه التساؤلات إلى إثارة مسائل أخرى مرتبطة بمعايير اختيار المدونة التي تخضع إلى طبيعة الأنظمة المفترضة. وهذا يقودنا إلى القول: إن مدونة الوقائع الغذائية لا تخضع لمعايير اختيار المدونة نفسها الخاصة بأشكال العربات²².

إحالات البحث

¹ Le Nouveau Dictionnaire Etymologique et Historique, Albert Dauzat et autres, Librairie LAROUSSE, Paris, 1980. P 682.

² Op cit, P428

³ Ferdinand De Saussure, Cours De Linguistique Générale, Publié par Charles Bally et Albert Sechehaye avec la collaboration de Albert Riedlinger, Payot, Paris, 1966.

⁴ « on peut donc concevoir une science qui étudie la vie des signes au sein de la vie sociale, elle formerait une partie de la psychologie, et par conséquent de la psychologie générale, nous la nommerons sémiologie » , op cit, P33.

⁵ Ibid, P 33.

⁶ Jean-Jacques Nattiez, Le point de vue sémiologique, cahier de linguistique, les presses de l'université de Québec, 1975, P51.

⁷ « le signe linguistique unit non une chose et un nom, mais un concept et une image acoustique » , Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, op,cit ,P98.

⁸« on séparant la langue de la parole, on sépare du même coup ce qui est social de ce qui est individuel... » Ibid, P30.

⁹ Voir : Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, op,cit ,P352.

¹⁰ببير درافي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 99.

¹¹Voir :Jean-Jacques Nattiez, Le point de vue sémiologique, cahier de linguistique, les presses de l'université de Québec, 1975, P53

¹² سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الرباط، 2003. ص40.

¹³Roland Barthes, Eléments de sémiologie, article, volume 4, Numéro 1, 1964,

¹⁴« La linguistique n'est qu'une partie de cette science générale », F. daussure, Op cit, P33.

¹⁵ « Il faut en somme admettre dès maintenant la possibilité de renverser un jour la proposition de Saussure : la linguistique n'est pas une partie même privilégiée de la science générale des signes, c'est la sémiologie qui est une partie de la linguistique :très précisément cette partie qui prendrait en charge les grandes unités signifiantes du discours.», R. Bartnes, Présentation du n°4 de Communication, Paris, le Seuil,1964, P2.

¹⁶ رشيد بن مالك، إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي، مبادئ في علم الأدلة للأستاذ محمد البكري نموذجاً، الندوة الدولية: "اللغة، الخطاب، الآداب والسيميائيات والترجمة والعلم، تكريماً للأستاذ "محمد البكري"، كلية الآداب، والعلوم الإنسانية، عين الشق، دار البيضاء، المغرب، 24، 25 ديسمبر 2017.

¹⁷« La formulation de Barth a le mérite de traduire en clair l'état d'esprit qui a dominé, au moment du démarrage de la sémiologie en France », Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, Puf, Paris, 1979, p. 13.

¹⁸Voir : Roland Barthes, Système de la mode, Suil, Paris, 1967, p.5.

¹⁹ ينظر: رشيد بن مالك، مداخلة "إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي" -مبادئ في علم الأدلة للأستاذ محمد البكري نموذجاً.

²⁰ ينبغي أن نشير في هذا السياق إلى أن محمد البكري استعمل مصطلح "الدلائلية" كمقابل للمصطلح الفرنسي sémiotique.

²¹ رولان بارث، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة وتقديم: محمد البكري، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة 2، سورية، 1987، ص9، 21.

²² Voir : Roland Barthes, Eléments de sémiolo